

## زوربا اليوناني والزين السوداني: دراسة في التقابل والتضاد

Zorba the Greek and Zein the Sudanese:  
A Study of Juxtaposition and Contrast

Zorba berbangsa Yunani dan Zein berbangsa Sudan:  
Satu Kajian Perbandingan dan Pertentangan

حسن عبد الرازق النقر\*

### ملخص البحث:

تُعد الروايتان زوربا اليوناني للكاتب اليوناني نيكوس كازانتزاس، وعرس الزين للكاتب السوداني الطيب صالح، من روائع الأدب الروائي العالمي. تتناول الدراسة أوجه الشبه والاختلاف في الروايتين عبر تحليل الشخصيتين الرئيسيتين، وتحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية: هل تمثل الشخصيتان الرئيسيتان رؤيتين محددتين للوجود، بمعنى أنّ أحداث الروايتين تعبر عن هوية جمعية وتصورات، ومن ثمّ ثقافتين إحداهما غربية والأخرى عربية أفريقية مسلمة؟ وثانيا هل تعبر أحداث الروايتين عن فلسفة شخصية في الحياة؟ ولمعرفة رؤية الوجود عند الشخصيتين الرئيسيتين تحلل الدراسة أحداث الروايتين مقابل معالم الحياة البارزة التي يمر بها الفرد خلال رحلة حياته الممتدة من الميلاد إلى الموت. ولمعرفة إن كانت أحداث الروايتين تعبر عن فلسفة شخصية في الحياة، يحاول الباحث الإجابة عن هذا السؤال من منظور النقد الأدبي الروائي الذي يميز بين نوعين من الشخصيات، شخصية "النيابي" والشخصية التوضيحية. خرجت الدراسة بنتائج، وهي: أن الحب والحياة يشكّلان منحاً فردياً عن زوربا، أما عند الزين فتمثلان الشأن الجماعي، وثانياً أن رواية زوربا اليونانية تنتهي بموت السيدة والفراق، أما عند رواية الزين فتنتهي بالزواج، وأخيراً أن شخصيتي زوربا والزين قد تمّ تشخيصهما كشخصيتين توضيحيّتين تعدان جزءاً من الشخصية الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: الشخصية - زوربا - الزين - التقابل - التضاد.

\* أستاذ بروفيسور، المعهد العلمي للفكر والحضارة الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

**Abstract:**

Zorba the Greek by Nikos Kazantzakis and ‘*urs al-Zīn*’ by the Sudanese writer Al-Ṭayyib Ṣāliḥ are two of the most highly regarded novel internationally. This study aims at discussing the common and contrasting features in the two novels through exploring their main characters. In order to uncover the world view of both characters, the study will analyze important events that both of them went through in life from their birth until death. In order to ascertain whether the plots of both novels express certain personal philosophy of life, the paper will try to answer this from the standpoint of literary critic on novel writing that distinguishes between two types of characters: a proxy character and an explanatory character. The study concludes: that love and life form a distinct individual aspect in Zorba while in Zein they materialized in the sociological aspect; that the Greek novel ended with the death of the lady and separation while in Zein it ended with marriage. Finally, both characters had been analyzed as explanatory characters which are regarded as parts of human characters.

**Keywords:** Characters– Zorba– Zein– Contrast– Juxtaposition.

**Abstrak:**

Novel ‘Zorba the Greek’ tulisan penulis Yunani, Nikos Kazantzakis dan novel ‘*urs al-Zīn*’ tulisan penulis Sudan, Al-Ṭayyib Ṣāliḥ, dianggap karya sastra terbaik di peringkat antarabangsa. Kajian ini membincangkan elemen persamaan dan perbezaan yang terdapat dalam kedua-dua novel tersebut dengan melakukan analisa terhadap watak utama. Kajian turut cuba menjawab beberapa persoalan: Adakah kedua-dua watak utama dalam novel tersebut melambangkan entitinya? Yakni, adakah plot yang terkandung dalam kedua-dua novel mengungkap identiti dan gambaran masyarakat, iaitu watak utama bagi novel pertama memaparkan budaya masyarakat Barat, manakala watak utama dalam novel kedua menggambarkan budaya masyarakat Afrika Muslim? Soalan berikutnya: Adakah plot dalam kedua-dua novel memperkatakan tentang falsafah individu tertentu dalam kehidupan? Untuk merungkai pandangan dunia tentang entiti kedua-dua watak, kajian ini akan menganalisa peristiwa penting yang dilalui oleh mereka sepanjang kehidupan sejak mereka lahir hingga meninggal dunia. Untuk melihat sejauh mana plot kedua-dua novel melambangkan falsafah individu tertentu dalam kehidupan, kajian ini cuba merumuskan daripada sudut pandangan kritikan sastra dalam penulisan novel, di mana pandangan ini membezakan dua jenis watak, iaitu watak proksi dan watak keterangan. Dapatan kajian menunjukkan bahawa elemen kasih sayang dan kehidupan membentuk sifat individu yang jelas dalam diri Zorba, manakala bagi Zein, kedua-dua elemen ini menjelma sebagai aspek sosiologi dan kemasyarakatan. Novel Zorba diakhiri dengan kematian seorang wanita dan perpisahan, manakala novel Zein pula ditamatkan dengan perkahwinan. Akhirnya, kedua-dua watak telah dianalisa sebagai watak keterangan di mana mereka dianggap sebahagian daripada peribadi insani.

**Kata kunci:** Watak- Zorba- Zein- Perbandingan- Pertentangan.

## مقدمة:

ثمة تشابه واضح واختلاف صارخ بين الشخصيات الرئيسة في روايتين من بيعتين ثقافيتين مختلفتين، الرواية الأولى هي **زوربا اليوناني** للكاتب نيكوس كازانتزاس<sup>١</sup>، والرواية الثانية هي **عرس الزين**<sup>٢</sup> وهي العمل الروائي الأول للكاتب السوداني الطيب صالح. والدارس للروايتين يجد في التشابه والاختلاف في الشخصيتين الرئيسيتين الكثير من المتعة والإثارة. لكن الأسئلة المحورية التي تشكل قاعدة التحليل لهذين العاملين العميقين حقاً تستوجب الطرح والإيضاح قبل كل شيء:

هل تمثل الشخصيتان رؤيتين محددتين للوجود؟ بعبارة أخرى، هل تصور أحداث الروايتين مجتمعين وثقافتين فيهما كثير من التشابه والاختلاف؟ بمعنى أن زوربا والزين، كلٌّ على حدة يعبر عن هوية جمعية محددة إحداهما غربية والأخرى إفريقية، عربية، إسلامية؟ أم هل يمثلان نفسيهما فقط، بمعنى أن أحداث الروايتين تبرز فلسفتيهما الشخصية في الحياة؟ وقبل أن نتناول الأسئلة التي أثارناها آنفاً، نورد أولاً تعريفاً عاماً ومختصراً عن رؤية الوجود كما صاغتها أسماء حاج عمر التي تعرّف رؤية الوجود بأنها: (الرؤية التي يفهم بها شعب ما الغاية من الحياة، وينعكس هذا الفهم ويتأثر بوسائل عدة كاللغة والثقافة والدين... إلخ. وبناءً عليه فإن البحث في فهم هذا الشعب عبر الوسائل المذكورة أعلاه يعني أن ننظر في العلاقة بين الوسيلة المعينة وإعمال الفكر عند هذا الشعب).<sup>٣</sup>

وربما تتضح رؤية الوجود عند الشخصيتين الرئيسيتين بصورة مجسدة إذا حللنا أحداث الروايتين مقابل معالم الحياة البارزة التي يمر بها الفرد وهو يعبر الطريق الممتد بين الحياة والموت، وهذه المعالم هي: الحب (الجمال، المرأة) والزواج (الأسرة)، ثم الموت بحسبانه جزءاً مكماً لسلك الفرد عبر رحلته حياته التي تنتهي به. وفضلاً عن ذلك يعد الدين - بلا شك - عاملاً يشارك في تشكيل سلوك الفرد خلال مشواره حياته.

## مفهوم الشخصية:

قبل تشخيص وتحليل شخصيتي زوربا والزين يمكننا أن نفهم أحداث حياتهما بصورة أفضل إذا رجعنا إلى سكولس وكيلوج (Scholes) و (Kellogg)؛ حيث يفرقان بين نوعين من الشخصيات، شخصية النيابي والشخصية التوضيحية. وهذه الأخيرة تستخدم بصورة انتقائية لتوضيح فكرة أو مفهوم ما؛ لأن أفعالها لا تعكس سلوك الكائن البشري، لذلك ينبغي أن ينظر إليها بوصفها جزءاً صغيراً أو شريحة من الشخصية البشرية، إذ أنها ليست كائناً بشرياً كاملاً. والذي لا شك فيه هو أن هذا النمط من الشخصيات (التوضيحية) ينطبق على زوربا والزين؛ لأن وجود شخصيتين مثلهما في المجتمعات البشرية واقعاً لا يمكن أبداً.<sup>٤</sup> ولكن وجودهما الخيالي ضروري لأن الكاتبين يستخدمان هاتين الشخصيتين لتحقيق أهدافهما الأدبية، كما سنرى خلال عرضنا وتحليلنا لهذين العاملين.

## رواية زوربا:

حين تظهر لنا شخصية زوربا أول مرة ندرك أننا أمام شخص نسيج وحده؛ إذ إنه خالٍ تماماً من أي انتماء أخلاقي واجتماعي، تتمركز حياته حول نفسه. ففلسفة زوربا في الحياة هي أنه لا يؤمن بشيء سوى نفسه فقط: يقول زوربا عن نفسه:

(لا أؤمن بأي شيء ولا بأي شخص. فقط أؤمن بزوربا، ليس لأنه أفضل من الآخرين، كلا! إنه يهمني مثلهم. إنني أؤمن بزوربا لأنه الإنسان الوحيد الذي أملكه، الإنسان الوحيد الذي أعرفه والآخرين مجرد أشباح. إنني أرى بهاتين العينين وأسمع بهاتين الأذنين وأهضم بهذه الأحشاء. ماعدا ذلك مجرد أشباح!! اسمعني! حين أموت يهلك كل شيء. سيذهب عالم زوربا كله إلى القاع).<sup>٥</sup>

يرى زوربا أنه من أجل أن يستمتع بالحياة وملذاتها فإنه يجب أن يتحرر تماماً من قيود التقاليد الاجتماعية، فهو-لذلك- لا يؤمن بأي دين، بل ويعتقد أن الله والشيطان هما وجهان لعملة واحدة.<sup>٦</sup> لذلك يهجر زوربا زوجته وأطفاله ويتخلى عنهم؛ لأنه يرى أن الرجل ينبغي أن يكون حراً من قيود المجتمع حتى يتمكن من غزو العالم.<sup>٧</sup> وهذه النظرة المادية للوجود تشمل نظرة زوربا للمرأة فهي تعني عنده قمة الانتشاء والمتعة، وهي خلق وعالم قائم بذاته ينبغي المحافظة عليها؛ لأنها شيء حساس خلق ليستمتع بالرجل كما خلقت لإمتاعه؛ لذلك لا يجب أن تُحتكر المرأة- أي امرأة- لرجل واحد. يقول زوربا للراوي:

المرأة نبع عذب!! تنحني فوقه فتنعكس صورتك على وجهها فتشرب. تشرب حتى تسمع فرقة عظامك، ثم يأتي عطشان آخر، ينحني فوقها ويرى انعكاس صورته ويشرب، ثم يأتي ثالث.. قلت لك إنها نبع عذب حقاً.

الراوي: هل تتركها بعد ذلك؟

زوربا: ماذا تتوقع؟ قلت لك: إنها نبع، وأنا عابر سبيل...<sup>٨</sup>

حين يلتقي زوربا والراوي (أورجي) لأول مرة نجد أن أورجي وقتها كان يعيش في عالم الميتافيزيقيا المثالي، وكان غارقاً في البوذية هائماً في عوالم من التدبر والتفكير يصارع نفسه من أجل التخلص من عالم الجسد إلى عالم الفكر والروح. وكان زوربا على العكس تماماً من الراوي، قد حرر نفسه تماماً من قيود الانتماء للخالق نفسه أو للدين والقطر والعنصر، ومن العبودية للأسرة أو لأي أفكار مجردة. وقد أثار هذا التناقض إعجاب الراوي الذي كان زوربا يجسد له الرجل الأول بمعنى أنه يمثل الإنسان الأول الذي كان يجوب الأرض منغمساً في حيوانها ومائها وطينها، وفي كل ما فيها دون أي تشويش أو تدخل من جانب العقل. وما لبثت العلاقة بين زوربا وصاحب العمل (الراوي) أن تحولت إلى علاقة تشبه علاقة

المرشد والأب الروحي بتلميذه. وكان الراوي مشتاقاً للولوج إلى عالم زوريا متمنياً أن يكون ذلك على يدي زوريا نفسه. ويشكل التلاقي الذي تم بفعل زوريا بين الراوي والأرملة الشابة نقطة البداية للتحويل الذي حدث في شخصية الراوي. ويعلق الكاتب على ذلك بقوله: (يبدو أن عقل الراوي قد وجد بسهولة إجابة بسيطة للمشاكل والأفكار التي كانت تعذبه).<sup>9</sup>

وكما أمر بوذا العناصر الخمسة المكونة لجسمه أن تضحل وتذوب، وهي: الأرض، النار، الماء، الهواء، والنفس، أمر الراوي بوذا الكامن في داخله أن يذوب ويتلاشى. وبهذه الطريقة يتواءم الراوي مع نفسه بمساعدة صديقه ومرشده زوريا.

ويظل الحب عاملاً أساسياً في حياة الشخصيتين، زوريا والزين مع اختلاف رؤيتهما له، كل على حده. فبالنسبة إلى زوريا الحب هو الاستمتاع بالحياة وملذاتها عن طريق الحواس الخمس، وهو يرى ذلك في كل الموجودات: شقشقة العصفير، وخرير المياه، والروائح والأصوات والألوان والطعوم وعناق امرأة، وفي كل ذلك مصدر للمتعة والملذات. لكن حب زوريا للوجود دائم ومتجدد. والمرأة جزء هام في جمال هذا الوجود، وهي -صغيرة كانت أم كبيرة- لا يمكن أن تكون قبيحة أبداً في عالم زوريا. ففي هذا العالم لا يمكن أن تكون المرأة حكراً لفرد وإنما هي للجميع، وبهذا الفهم يكون الحب عند زوريا غاية مبتغاة وليس مفهوماً مجرداً؛ إذ إنه فعل مستمر جالب للسعادة والإشباع الجسدي.

### رواية الزين:

تحتل أحداث الحب والزواج مساحة كبيرة في رواية عرس الزين، لذلك تضيء هذه الأحداث قوة تدفع بالقصة إلى الأمام بصورة فيها الكثير من التشويق والإثارة. لكن الحب في الرواية ليس مقصوداً لذاته، كما أنه ليس عملاً فردياً، إنه عمل يتجاوز الفرد ليشمل الجميع بعاطفته المطلقة. والزواج كذلك ليس مقصوداً لذاته إنما هو وسيلة أساسية في الترابط الاجتماعي واستمرار الحياة، لذلك دور المرأة في دفع عجلة الحياة واستمرارها هو الأهم، إنها نبع عذب، لكنك لا تترك هذا النبع لكل عابر سبيل، فالولاء للزوجة والأسرة كمؤسسة اجتماعية لا يقوم المجتمع بدونها، ولا يستمر جوهر الحياة؛ إذ بدونه لا يكون للحياة طعم ولا رائحة.

فمحور الأسرة والزواج هو مركز أحداث رواية عرس الزين بلا منازع، لذلك فإنه إحدى المسلمات الاجتماعية في الرواية خاصة عند بطلها الزين الذي يشكل بنفسه عنصر جذب وجمع بين الباحثين عن الزوجة أو الزوج المناسب، وهذا هو الذي يعكس أحد ملامح شخصية الزين الممتلئة بالحب والخير. فقبح الزين الجسمي الخارجي يقابله مباشرة رصيد ضخم من جمال روحه وحب للناس والحياة، فهو لا يعرف الحدود بين القبائل ولا يميز بين عبد وحر، فليس في قاموسه غني وفقير، صحيح ومعاق، ينشر البسمة والفرح والبهجة حيثما حل، فهو كالطفل لا يعرف النفاق والكذب. والزين -كما

علق علي الراعي: (شلال دافق من الحياة وحب الحياة. نهم لا ينتهي ولا يشبع. يظل طول الرواية يزغرد للجنس وللحياة وللإخصاب، كأنما وكلت إليه الحياة أمر الدعوة لها، والحفاظ على اتصالها).<sup>١٠</sup>

فالزين كزوربا يستمتع بكل ما في الحياة من المتع فهو يهوى المرأة والطعام والرقص، لكنه في كل ذلك لا يخرج عن قيم المجتمع ولا يصادمها، ولم يُعرف عنه قط أنه تردد ولو مرة على الواحة وهي ماخور القرية، وتقع على أطراف القرية وعلى حافة الصحراء ويؤمها الخارجون على قيم المجتمع الذي قبلهم على مضض طالما بقوا لوحدهم ولم يتعرضوا لأحد. ويشترك الزين وزوربا في كراهيتهم لرموز المؤسسة الدينية الرسمية مع اختلاف المنطلق. فزوربا الذي بنى مذهبه في الحياة على التحرر من كل القيود الاجتماعية والثقافية والدينية أقرب في منهجه في الحياة من الوجودي الملحد. فمنهج زوربا في الحياة وثني استماعي، ووثنيته تقوم على عبادة شخصه وعلى الاستمتاع المادي بكل معطيات الحياة. وفضلا عن ذلك يرى زوربا في القسوسة حياة تصادم مذهبه، ويشير ويهيج نفاقهم وانحرافهم. فبينما يعادون الحياة نفسها واجهة فهم يتلذذون بمضاجعة الغلمان سرا. أما كراهية الزين للإمام الذي يمثل السلطة الدينية الرسمية فلا يقوم على كراهية الدين، فالزين رغم أنه لا يؤدي فريضة الصلاة إلا أنه لا يعادي تعاليم الدين. ولعل السؤال المهم في هذا الإطار هو: كيف جمع الزين بين حب الحنين، الشيخ الصوفي العابد وبين كراهية الإمام؟ الرواية لا تتعرض لأسباب هذه الكراهية بتفصيل، وإنما فقط تعرضها دون توضيح. والناس في القرية ينقسمون إلى عدة أقسام تجاه الإمام، فهناك من يحبه، وهناك من يهابه، وهناك من يعده ضرورة عملية، أما الزين فهو معسكر قائم بذاته تجاه الإمام فهو لا يحبه ولا يطيق حتى رؤيته:

(وكان الزين فريقاً قائماً بذاته. كان يقضي أعظم أوقاته مع شلة محبوب، بل أنه كان في الواقع إحدى المسؤوليات الكبيرة الملقاة على عاتقهم. وكانوا يحرصون على إبعاده عن المشاكل، وإذا وقع في ورطة أخرجوه منها. كانوا يعلمون عنه أكثر مما تعلم أمه، يشملونه بعنايتهم وترعاه عيونهم من بعيد. وكانوا يحبونه ويحبهم. لكن الزين في موضوع الإمام كان معسكراً قائماً بذاته، يعامله بفضاظة، وإذا قابله قادماً من بعيد ترك له الطريق. ولعل الإمام كان الشخص الوحيد الذي يكرهه الزين، كان مجرد وجوده في مجلس يكفي لإثارته، فيسب ويصرخ ويتعكر مزاجه ويتحمل الإمام في وقار هيجان الزين، ويقول أحياناً إن الناس أفسدوه بمعاملتهم له كأنه شخص شاذ، وأن كون الزين ولياً صالحاً حديث خرافة، وأنه لو ربي تربية حسنة لنشأ عادياً كبقية الناس. لكن من يدري، لعله هو الآخر أحس بقلق في صدره حين حدجه الزين بإحدى نظراته، فكل أحد يعلم أن الزين أثير عند الحنين، والحنين ولي صالح وهو لا يصادق أحداً إلا إذا أحس فيه قبساً من نور).<sup>١١</sup>

## التقابل:

وفي الجانب الآخر نجد أن الزين شخصية محبوبة من الجميع؛ لأن قلبه ممتلىء بالحب والرقّة، فهو عطوف كريم خاصةً على الضعفاء والمعاقين يهش لهم ويسعى في إعاشتهم وإكرامهم، فهو عبارة عن جمعية خيرية لوحده. ولعل هذا الحب الفياض والصوفية الطبيعية هي التي جذبت شيخ الحنين الرجل الصالح إلى الزين، فهو حين يزور القرية لا يجالس أحداً ولا يؤاكل أحداً ولا يقيم عند أحد سوى الزين. وكان الزين يحب الحنين ويجله ويقبل يديه، وكان الحنين ينادي الزين دائماً بـ"المبروك". وبهذا تبرز شخصية الزين كشخصية لها بعدان؛ بعد شخصي وبعد صوفي، خاصةً إذا عرفنا الصوفية الطبيعية - بصورة عامة - بأنها تعني سلامة الصدر وكف الأذى عن الناس والإحسان إليهم. ومثل هذا الدور التكافلي كان الإمام أجدر بالقيام به وتوجيه الناس إليه، لكن الإمام لا يظهر لنا من شخصيته سوى الجانب الأخرى أو الرسمي فكأنه قد اتخذ من الحياة والعصاة عدواً له.

زوريا اليوناني مسرح تأثيره لا يتعدى الراوي الذي اتخذ زوريا مرشداً روحياً. وعلى العكس من ذلك الزين الذي نجد أن مسرح حياته وحركته كل مكان به بشر، وفضلاً عن ذلك نجد أن الزين يتحرك وفق منظومة اجتماعية يحترمها ولا يتجاوزها ويتأثر بتوجيهها، وهي التي في النهاية ستشكل شخصيته النهائية؛ لأن الزين شخصية متطورة تؤثر وتتأثر بمن حولها. وهنا تبرز لنا ثلاثة مؤثرات في شخصية الزين، أولها: مجموعة أصدقائه أو ما يسمى بـ: "عصابة محبوب". وكان تأثير هذه المجموعة عليه ينحصر في حمايته من الشرور والمشاكل وتوجيهه العام في أمور الحياة، وكانوا أقرب الناس إليه وأعلمهم بسرهم ومجال حركته، يستشيرهم في كل أموره. لكن نطاق تأثيرهم فيه لا يتعدى ذلك. وكان مزارعاً منتجاً مثلهم يمتلك حقلاً خاصاً به. (والفريق الثاني، وقد كان أكثر المعسكرات وزناً، فريق محبوب وعبد الحفيظ والظاهر والرواسي وعبد الصمد وحمد ودالريس وأحمد وإسماعيل وسعيد. كانوا متقاربي الأعمار، بين الخامسة والثلاثين والخامسة والأربعين، إلا أحمد وإسماعيل فقد كان في العشرين لكنه بحكم مسؤوليته وطريقة تفكيره كان واحداً منهم. هؤلاء كانوا الرجال أصحاب النفوذ الفعلي في البلد. كان لكل واحد منهم حقل يزرعه، في الغالب أكبر من حقول بقية الناس، وتجارة يخوض فيها. كان لكل واحد منهم زوجة وأولاد. كانوا الرجال الذين تلقاهم في كل أمر جليل يحل بالبلد).<sup>١٢</sup>

ثم هناك شخصية الرجل الصالح "الحنين" الذي تصوره الرواية كصوفي زاهد، ولا تذكر الرواية وصفاً جسمانياً له البتة، إنما هو روح محضة لا يهتم في أمر الدنيا شيء وليس له صديق حميم يأنس به في القرية غير الزين:

(كان رجلاً صالحاً منقطعاً للعبادة. يقيم في البلد ستة أشهر في صلاة وصوم، ثم يحمل إبريقه ومصلاته ويضرب مصعداً في الصحراء، ويغيب ستة أشهر، ثم يعود، ولا يدري أحد أين ذهب. ولكن الناس يتناقلون قصصاً غريبة عنه. يحلف أحدهم أنه رآه في مروى في وقت معين، بينما يقسم آخر أنه شاهده

في كرمه في ذلك الوقت نفسه، وبين البلدين مسيرة ستة أيام. يزعم أناس أن الحنين يجتمع برفقة من الأولياء السائحين الذين يضربون في الأرض يتعدون. والحنين قلماً يتحدث مع أحد من أهل البلد، وإن سئل أين يذهب ستة أشهر كل عام لا يجيب. ولا أحد يدري ماذا يأكل وماذا يشرب، فهو لا يحمل زاداً في أسفاره الطويلة. وكان في البلد إنسان واحد يأنس إليه الحنين ويهش له ويتحدث معه-ذلك هو الزين. كان إذا قابله في الطريق عانقه وقبله على رأسه، وكان يناديه "المبروك". وكان الزين أيضاً إذا رأى الحنين مقبلاً، ترك عبثه وهذره وأسرع إليه وعانقه. ولم يكن الحنين يأكل الطعام في بيت أحد، إلا دار أهل الزين يسوقه الزين معه إلى أمه ويأمرها بصنع الغذاء أو الشاي أو القهوة. ويظل الزين والحنين ساعات في ضحك وكلام. ويحاول أهل البلدة أن يعرفوا من الزين سر الصداقة التي بينه وبين الحنين فلا يزيد على قوله: "الحنين راجل مبروك"<sup>١٣</sup>.

لكن الرواية لا تذكر شيئاً عن تلك الساعات الطويلة التي كان الحنين والزين يقضيانها معاً في "ضحك وكلام". لكن الذي لا شك فيه هو أن الحنين يعدّ الزين إعداداً خاصاً ليؤدي دوراً جاداً في مستقبل أيامه، خاصةً إذا أضفنا إلى ذلك دعاء الحنين له بأنه سيتزوج أحسن بنت في القرية.<sup>١٤</sup>

وهنا تأتي شخصية نعمة بنت عم الزين بوصفها مؤثراً ثالثاً في تطور شخصية هذا الشاب الصغير السن الكبير القلب. وتضفي شخصية نعمة حيوية وتشويقاً على القصة خاصةً حين نحلل أبعاد شخصيتها الثلاثة. لقد برع الطيب صالح في رسم شخصياته وسبر أغوارها الداخلية عموماً في رواياته وقصصه. يشمل ذلك رواية عرس الزين سواء أكان ذلك يتعلق بشخصيات عصابة محجوب أم سيف الدين أم الزين نفسه. لكن المؤلف وصل قمة الإبداع في رسمه لشخصية نعمة كشخصية متعددة الملامح والسجايا؛ فهناك البعد الشخصي لنعمة، فقد نشأت ونشأ معها إحساس كبير بالمسؤولية، وكانت قوية الشخصية، مستقلة الرأي، لها قناعاتها الثابتة في كثير من القضايا. ورغم ذكائها وتميزها الدراسي إلا أنها رفضت التعليم الحكومي فدرست مع الصبيان في مدرسة القرآن، وكانت متقدمة على الجميع فهماً وحفظاً. لذلك كان الزين يهابها وكثيراً ما يكون في عبثه ومزاحه فإذا برزت بعيونها الحلوة الغاضبة ترك عبثه وفرّ من بين يديها.<sup>١٥</sup>

ثم هناك البعد الديني الذي يظهر واضحاً وقوياً في شخصية نعمة:

(أرغمت أباها أن يدخلها في الكتاب لتتعلم القرآن. كانت الطفلة الوحيدة بين الصبيان. وبعد شهر واحد تعلمت الكتابة، وكانت تستمع إلى صبيان يكبرونها يقرءون سوراً من القرآن، فتستقر في ذهنها. وأقبلت على القرآن، تحفظه بنهم، وتستلذ بتلاوته وكانت تعجبها آيات معينة منه، تنزل على قلبها كالخبر السار. كانت تؤثر مما حفظته سورة الرحمن وسورة مريم وسورة القصص، وتشعر بقلبها يعتصره الحزن وهي تقرأ عن أيوب وتشعر بنشوة عظيمة حين تصل إلى الآية "وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا". وتتخيل رحمة امرأة رائعة الحسن متفانية في خدمة زوجها، وتتمنى لو أن أهلها أسموها رحمة).<sup>١٦</sup>

ولعل البعد الثالث هو الأكثر تأثيراً في حدوث "المعجزة"، معجزة زواج الزين القبيح الشكل الحميل الروح من نعمة أجمل بنات القرية بلا خلاف خلقاً وخلقاً، وكما جاء في الرواية: (وكانت نعمة حين تفرغ إلى نفسها وأفكارها، وتخطر على ذهنها خواطر الزواج، تحس أن الزواج سيحييها من حيث لا تحتسب. كما يقع قضاء الله على عباده. مثل ما يولد الناس ويموتون وبمرضون. مثل ما يغيض النيل، وتهب العواصف، ويثمر النخل كل عام، كما ينبت القمح ويهطل المطر وتتبدل الفصول كذلك سيكون زواجها، قسمة قسمها الله لها في لوح محفوظ قبل أن تولد، وقبل أن يجري النيل، وقبل أن يخلق الله الأرض وما عليها. لم تكن تحس بفرح أو خوف أو أسى حين تفكر في هذا، ولكنها كانت تشعر بمسؤولية كبيرة ستوضع على كتفها في وقت ما، قد يكون قريباً، وقد يكون بعيداً. صاحباتها في الحي، كل فتاة تشب وفي ذهنها صورة معينة عن الفارس الذي يربط فرسه ذات مساء ساجي الضوء خارج الدار، ويدخل ويختطفها من بين أهلها، ويهرب بها بعيداً إلى عوالم سحرية من السعادة ورغد العيش. أما نعمة فلم ترسم في ذهنها صورة محددة. كبرت، وكبر معها حب فياض ستسبغه يوماً ما على رجل ما قد يكون متزوجاً له أبناء، يتزوجها على زوجته الأولى قد يكون شاباً وسيماً متعلماً، أو مزارعاً من عامة أهل البلد مشقق الكفين والرجلين، من كثرة ما خاض في الوحل وضرب بالمعول. قد يكون الزين... وحين يخطر الزين على بال نعمة تحس إحساساً دافئاً في قلبها، من فصيلة الشعور الذي تحسه الأم نحو أبنائها. ويمتزج بهذا الإحساس شعور آخر، بالشفقة. يخطر الزين على بالها كطفل يتيم عديم الأهل، في حاجة إلى الرعاية إنه ابن عمها على كل حال، وما في شفقتها عليه شيء غريب).<sup>١٧</sup>

وما كان لمعجزة زواج نعمة من الزين أن تتم لولا وجود عاملين، العامل الأول هو دعاء الرجل الصالح الحنين للزين بصفة خاصة، ثم للقرية بصورة عامة، والتي أدت إلى خير شمل الجميع. ومعجزة زواج نعمة من الزين يخالف الصورة التقليدية للزواج تماماً، فعند أهل القرية المرأة تُطلب، والزين نفسه كان يتغنى بجمال حسناوات القرية وعرب القوز، فكم من جميلة صرخ بجبها لكن في النهاية لم تثمر أي من مغامراته البريئة العلنية شيئاً حتى إن المرء يتساءل: أحب ذلك الذي يصرع قلب الزين أم إعجاب عابر؟! (في مجتمع محافظ، تحجب فيه البنات عن الفتيان، أصبح الزين رسولاً للحب، ينقل عطره من مكان إلى مكان. كان الحب يصيب قلبه أول ما يصيب، ثم ما يلبث أن ينتقل منه إلى قلب غيره، فكأنه سمسار أو دلال أو ساعي بريد. ينظر الزين بعينيه الصغيرتين كعيني الفأر، القابعتين في محجرين غائرين، إلى الفتاة الجميلة، فيصيبه منها شيء -لعله حب؟ وينوء قلبه الأبكم بهذا الحب، فتحمله قدماه النحيلتان إلى أركان البلد، يجري هاهنا وهاهنا كأنه كلبة فقدت جراءها، ويلهج لسانه بذكر الفتاة ويصيح باسمها حيثما كان، فلا تلبث الأذان أن ترهف، وما تلبث العيون أن تنتبه. وما تلبث يد فارس من بينهم أن تمتد فتأخذ يد الفتاة. وحين يقام العرس، تفتش عن الزين، فتجده إما مسخراً يملأ القلل والأزيار بالماء أو

واقفاً في منتصف الساحة عاري الصدر، في يده فأس يكسر به الحطب أو بين النساء في المطبخ يعابتهن ويعطينه من آن لآخر قطعاً من الطعام يملأ بها فمه، وما يفتأ يضحك ضحكته التي تشبه نقيق الحمام. وتبدأ قصة حب أخرى... وكان الزين يخرج من كل قصة حب كما دخل، لا يبدو عليه تغيير ما. ضحكته هي هي لا تتغير، وعيته لا يقل بحال، وساقاه لا تكلان عن حمل جسمه إلى أطراف البلد).<sup>١٨</sup> وهكذا، فالزین هو الذي يعطي بلا توقع عائد، والزین الذي كان رسولاً للحب والجمال والزواج يتم زواجه هكذا دون أي جهد منه، فنعمة أجمل جميلات القرية تفرع بابه طالبة الزواج منه، وكما روى الزين نفسه قصة الزواج: (جاتني الصباح بدري في بيتنا. وقالت لي قدام أمي: يوم الخميس يعقدوا لك عليّ. أنا وأنت نبقي راجل ومرة. نسكن سوا، ونعيش سوا).<sup>١٩</sup> لكن صورة الزين الفرحة بالحياة لا يغيب عن أذهان الناس، فهو ذلك الشاب الذي يتسع قلبه للجميع والذي يمتلك قوة خارقة، والذي عم عطفه وحب وحنانه الجميع. هذه هي الصورة التي انطبعت في أذهان الناس.

#### التضاد:

ويعد مفهوم الموت نقطة تباين أخرى بين زوربا والزين، فزوربا لا يؤمن بأن الحياة هي هبة من الله. فعلى العكس من ذلك، يؤمن زوربا بأن الإنسان هو الذي يخلق سعادته بنفسه متحدياً بذلك الله والشيطان. فبالنسبة إلى زوربا حياة الإنسان في الدنيا إما تكون جنته أو ناره، وليس هناك شيء اسمه الحياة الأخروية. ومنظر موت زوربا نفسه والطريقة التي مات بها تلخص حياة زوربا وفلسفته الخاصة التي مارسها في حياته. لقد كانت كلماته الأخيرة حين كان يحتضر، ما يأتي:

(اسمعوني دقيقة واحدة! إذا قسيس أو آخر أتى ليأخذ اعترافي ويقيم لي قرباناً مقدساً أخبروه أن ينصرف سريعاً وأن يترك لعنته بدلاً عن ذلك. لقد فعلت الكثير في حياتي ولكنني لم أفعل ما فيه الكفاية. إن رجلاً مثلي كان ينبغي أن يعيش ألف عام. طاب مساؤكم!).<sup>٢٠</sup>

وبمجرد نطقه بهذه الكلمات ترك زوربا سرير الموت وهب واقفاً، أعمل نظره بعيداً نحو سلسلة الجبال وبدأ يضحك. وهكذا واجه زوربا الموت متحدياً، واقفاً على قدميه، ضاحكاً.<sup>٢١</sup>

لكن الموت في عرس الزين يأتي كشيء طبيعي مكمل لدورة الحياة. وهو بذلك يعبر عن طبيعة الوجود الثنائي للكائن البشري؛ لذلك لا نجد طيف الموت يتسلل من الخارج ليحطم الحياة في عالم الأحياء. وفي نفس الوقت يكون الموتى -رغم بعدهم الجسدي- جزءاً مكماً لعالم الأحياء، ولذلك لا نستبعد حين نرى الزين في حضم الاحتفالات الصاخبة بزواجه يشعر أن من واجبه أن ينسل متخفياً ليزور قبر صديقه وأستاذه الحنين، ويعبر بذلك عن أسفه لغياب شيخه وليخبره بزواجه الذي تم. لكن ما إن عاد الزين من المقبرة حتى قفز في الهواء بنشاط وقوة، وبلا تردد غرس نفسه وسط حلبة الرقص يفيض

وجهه بالبشر والفرح. ولعله من المناسب أن نورد هنا ما قاله الأستاذ جلال العشري، وهو أن الفرحة بالحياة من مميزات الذات الإفريقية:

(فالذات الإفريقية ذات ملتزمة بالحياة التحاماً يكاد أن يكون عضوياً، بل هو التحام تلتقي فيه الثنائية القائمة بين الذات والوجود ليصبح الاثنان معاً كلاً واحداً، هذا الكل لا يصدر في نشاطه عن مصارعة الطبيعة كما هو الحال في الشخصية الإغريقية، بل عن التناغم والتناسق مع الوجود كله... فهو متفتح أمام كل النداءات، أمام أهون نسمة كما، يقول سنجور، وأدنى نفثة... وتفسير ذلك عند الشاعر الإفريقي أنه يجد كل الأشياء وفيرة وصديقة وأمينة فيستجيب لها على الفور، ويتجه نحوها بوجدانه كله، تاركاً نفسه على سجيته" لأنه دائماً موجود في الحاضر).<sup>٢٢</sup>

### الخاتمة:

لقد سلطنا الضوء في مجمل عرضنا لأحداث الروايتين على التضاد الصارخ في القصتين، وبينما أنه بينما يشكل الحب والحياة والسعادة منحاً فردياً في عالم زوريا، فإنها عند الزين ومجتمعه والوسط الذي يعيش فيه هي عبارة عن شأن جماعي. فشعار الزين في حياته أنه ما عاش من عاش لنفسه، فهو يقتسم ما عنده مع المحرومين والضعفاء، وهو رسول الحب والزواج، وهو يشكل بنفسه قطباً للتسامح والتكافل الاجتماعي، وهو كذلك عنصر نشط من عناصر التقارب الثقافي، وردم الهوة الاقتصادية في مجتمعه الصغير. فحيثما حل الزين جلب معه البسمة والسعادة للجميع، بلا كلل ولا ملل ولا تصنع فقد غلب طبعه على تطبعه، قلبه ممتلىء بحب الخير للجميع.

فبينما نجد أنّ رواية زوريا اليوناني تنتهي بموت السيدة "هورتنس"، بالفراق بين زوريا وصديقه الراوي، بموت الأرملة الشابة، ثم- في النهاية- بموت زوريا نفسها، نجد أن رواية عرس الزين تنتهي بالزواج والأمل والاستبشار باستمرار الحياة. والتورية التي تعبر عنها بعمق حلبة الرقص بمن فيها من الراقصين: الأتقياء والفساق، الأحرار والعبيد، الأغنياء والفقراء والخارجين على أعراف المجتمع، يعني أن الجميع معاً في هذه الحياة وفي النهاية يلفهم التسامح، يستطيعون معاً التغلب على مشاق الحياة.

وفي ختام الروايتين يتضح لنا بجلاء أن شخصيتي زوريا والزين قد تم رسمهما بعناية كشخصيتين توضيحيّتين. إن وجود هاتين الشخصيتين في عالم الواقع أمر مستحيل الحدوث لأنهما كشخصيتين توضيحيّتين يجب أن ينظر إليهما كجزء صغير أو شريحة من الشخصية البشرية؛ لأنهما لا يمثلان كياناً بشرياً كاملاً، لذلك لا ينبغي للقارئ أن ينظر إليهما كبشر يمتلك كل الخصائص البشرية، وإنما ينظر إلى القضايا والأحداث التي يجسدها. لقد نجح الطيب صالح ونيكوس كزانتراكس عبر توظيفهما لهذه التقنية في رسم شخصيات روائية خالدة خلود الزمن البشري.

## هوامش البحث:

- <sup>١</sup> انظر: Kazanrzakis, Nikos, **Zorba the Greek**, Trans. Carl Wildman, (New York: Simon and Schuser, ١٩٥٢). كل الإشارات والاقتباسات اللاحقة مأخوذة (بعد ترجمتها للعربية) من هذه الطبعة الإنجليزية.
- <sup>٢</sup> انظر: صالح، الطيب، عرس الزين، (بيروت: دار العودة، ١٩٨٨م). كل الإشارات والاقتباسات اللاحقة مأخوذة من هذه الطبعة.
- <sup>٣</sup> انظر: Haji Omar, Asmah, **Malay in Sociocultural Context**, (Kuala Lumpur: Dewan Bahasa dan Pustaka, ١٩٨٧٠), p.١٣.
- <sup>٤</sup> انظر: Scholes, Robert and Kellogg, Robert, **The Nature of Narrative** (New York: Oxford University, press, ١٩٨١), p.٨٨.
- <sup>٥</sup> رواية زوربا اليوناني، ص ٥٤. (ترجمة هذه الفقرة والترجمات اللاحقة من قِبَل الباحث).
- <sup>٦</sup> انظر: Kazanrzakis, Nikos, **Zorba the Greek**, Trans. Carl Wildman, p.٢٣٥.
- <sup>٧</sup> انظر: السابق نفسه، ص ٧٦.
- <sup>٨</sup> السابق نفسه، ص ٨٣.
- <sup>٩</sup> السابق نفسه، ص ٢٣٧.
- <sup>١٠</sup> الراعي، علي، "زغرودة طويلة للحياة" في: مجموعة من الكتاب العرب، الطيب صالح: عبقرى الرواية العربية، ط ٣، (بيروت: دار العودة، ١٩٨١م)، ص ١٠٤-١٠٥.
- <sup>١١</sup> صالح، الطيب، عرس الزين، ص ٧٨-٧٩.
- <sup>١٢</sup> السابق نفسه، ص ٦٧.
- <sup>١٣</sup> السابق نفسه، ص ٢٥-٢٦.
- <sup>١٤</sup> انظر: السابق نفسه، ص ٤٩.
- <sup>١٥</sup> أشار الناقد جلال العشري باقتضاب إلى الأبعاد الثلاثة في شخصية نعمة في مقاله القيم "زوربا السوداني: أو البحث عن الذات الإفريقية"، ص ١٥٢-١٧٩ في: مجموعة من الكتاب العرب، الطيب صالح: عبقرى الرواية العربية. الإشارة للأبعاد الثلاثة وردت في صفحات ١٧٥-١٧٧.
- <sup>١٦</sup> صالح، الطيب، عرس الزين، ص ٣٦.
- <sup>١٧</sup> انظر: السابق نفسه، ص ٣٨-٣٩.
- <sup>١٨</sup> السابق نفسه، ص ٢٣.
- <sup>١٩</sup> انظر: السابق نفسه، ص ٨٨.
- <sup>٢٠</sup> السابق نفسه، ص ٣١٠.
- <sup>٢١</sup> انظر: السابق نفسه، ص ٣١١.
- <sup>٢٢</sup> مجموعة من الكتاب العرب، الطيب صالح: عبقرى الرواية العربية، ص ١٦٧-١٦٨.

## References

## المراجع:

- Al-'ashriyy, Jalāl, "Zūrbā al-Sūdāniyy: aw al-Baḥath 'an al-Dhāt al-Ifrīqiyyah", fī: Majmū'ah min al-Kitāb al-'Arab, *al-Tayyib Ṣālīh: 'Abqariyy al-Riwāyah al-'Arabiyyah*, ٣<sup>rd</sup> edition, (Beirut: Dār al-'awdah, ١٩٨١).

Al-Rā'iy, 'Ali, "Zughrūdah Ṭawīlah liḥayāh" fī: Majmū'ah min al-Kitāb al-  
'arab, *al-Ṭayyib Ṣāliḥ: 'abqariyy al-Riwāyah al-'arabiyyah*, 3<sup>rd</sup> edition,  
(Beirut: Dār al-'awdah, ١٩٨١).

Al-Ṭayyib Ṣāliḥ, *'urs al-Zīn*, (Beirut: Dār al-'awdah, ١٩٨٨).

Haji Omar, Asmah, *Malay in Sociocultural Context*, (Kuala Lumpur: Dewan  
Bahasa dan Pustaka, ١٩٨٧).

Kazanrakis, Nikos, *Zorba the Greek*, Trans. Carl Wildman, (New York: Simon  
and Schuser, ١٩٥٢).

Scholes, Robert and Kellogg, Robert, *The Nature of Narrative*, (New York:  
Oxford University, press, ١٩٨١).